

# يشير

الماضي تساؤلات عديدة ، للماضي علم يدرسه هو التاريخ ، الذي أصبح هو ذاته محل تساؤلات مثيرة ، فإلى اليوم يُقدم التاريخ من خلال كتابات المؤرخين سواء في الكتب أو المجلات العلمية أو الثقافية أو الصحف ، لكن مع تقدم وسائل التكنولوجيا باتت الأفلام الوثائقية مادة خصبة تجذب الكثيرين للتاريخ.

علم التاريخ موضوعه دراسة أحوال المجتمعات الماضية ، أي دراسة تطور الإنسان وما أنتجه من منجزات حضارية ، وما تركته هذه المنجزات من تأثير في تطور الحضارة المعاصرة ، هذا التعريف يُعد متقدماً جداً عن موضوع علم التاريخ قديماً حيث كان الغرض الرئيسي من التاريخ مدح ولي الأمر وتمجيد الدولة ، لذا لم يهتم قدامى المؤرخين بالحياة اليومية للبشر ، لذا كان التاريخ قديماً انتقائياً فالمؤرخين كانوا ينتقون الأحداث والوقائع التي يؤرخوها (القصص التي يسردها المؤرخون من الماضي) مركزين على الأحداث التي تجذب انتباهنا ، وذلك ما يدفعنا للقيام بقصصها على المعاصرين.

ثُعد لهذا كله كتب التاريخ كنوز دفينه ، فهي عمل مفصل قام بسرده المؤرخون ، ودائمًا ما تغمرنا هذه الكتب بالسعادة حيث الحنين إلى الماضي ، ولكن ليس هذا كل شيء بالنسبة للمؤرخين المعاصرين لأننا لسنا فقط في حاجة لتقديم الماضي بل أيضاً لشرحه وتفسيره ، فالوصول إلى سياق أوسع للقصة يكون غير قاصر فقط على أحداثها المتتالية وإنما أيضاً للمغزى من وراء هذه الأحداث خاصة أن أهداف علم التاريخ الآن أصبحت أوسع نطاقاً وأكثر تنوعاً. لكن السؤال المطروح الآن هو لماذا نهتم بالتاريخ؟

هناك إجابات عديدة على هذا السؤال ، بعضها مفرط في إجابته على نحو أن الاهتمام يكون بهدف الوصول للحقيقة المجردة ، لكن هذه الإجابة تكون كاملة لو كان الهدف علمي بحث أو للتعرف على الماضي وما به من مآثر ، أو لدراسة السلبيات والإيجابيات في تاريخ البشرية ، أو لأنه مكون أساسي من المكونات الثقافية لأي شعب ، وحقيقة الأمر أن كل ما سبق يُعد إجابة مبدئية حول السؤال المطروح ، لأن الإجابة الواقعية هي أن كل ما سبق ليس سوى نتيجة لاهتمامنا بالتاريخ ، فالتاريخ أساس لتثقيف المجتمع وإرشاده لقواعد السلم والحرب وإدارة شؤون الدولة والتخطيط لمستقبلها ، من هنا يتحول مفهوم التاريخ من نطاق العلوم النظرية إلى العلوم العملية ، لأنه علم يرتبط بوجود الدولة وعناصرها المتمثلة في الأرض والشعب والسلطة السياسية ويعبر عنهم جميعاً بأنهم هوية الوطن ووجوده.

لذا عندما يعود الحاضر إلى الماضي ، يكون الماضي مركز قوى ، وغالبًا ما يكون التفكير في التاريخ في شكل سؤال يتأرجح ما بين ما هو التاريخ؟ ولمن يكون؟ مثل هذه الأسئلة لوجودة التاريخ ، فإذا كان الماضي بدون فجوات أو مشاكل لما اكتملت مهمة المؤرخ ، حيث أن التاريخ يُعد نوع من أنواع الجدل ، فهو جدل بين الحاضر والماضي ، وجدل بين ما حدث بالفعل وما سيحدث مستقبلاً.

يروي المؤرخون القصص ساعيين بذلك لإقناعك ببعض الأفكار للأساليب التي يتبعونها تقوم على الحقيقة ، حيث أنهم يقدمونها بإنصاف حتى إذا أساءت إلى البعض ، كما يتوجب عليهم ترتيبها ترتيباً

## مستقبل التاريخ



### د. خالد عذب

مدير إدارة الإعلام بمكتبة الإسكندرية

رئيس تحرير مجلة أجديات

الإسكندرية - جمهورية مصر العربية

[Khaledazab66@hotmail.com](mailto:Khaledazab66@hotmail.com)

### ■ الاستشهاد المرجعي بالمقال:

خالد محمد عذب ، مستقبل التاريخ - دورية كان التاريخية - العدد الخامس ؛ سبتمبر ٢٠٠٩.

ص ١٧ - ١٩ . [www.historicalkan.co.nr](http://www.historicalkan.co.nr)

أوقات الفراغ ، ولأنها ستكون منافس حقيقي لشاشات التلفاز والإنترنت في جذب عين القارئ لمشاهدتها وقراءتها ، وقد يلحق بهذا النوع من الكتب CD أو DVD عليه فيلم أو لقاء أو تسجيل لحدث مرتبط بموضوع الكتاب. أما الكتب التاريخية المحققة كالمخطوطات فسيكون موضعها المكتبات الرقمية على شبكة الإنترنت ، ولذا سينحصر دور المؤرخ مستقبلاً في الدراسات الأكاديمية أو المجالات المتخصصة أو في المساعدة في تقديم المادة التاريخية على شبكة الإنترنت ، بالإضافة لدور المؤرخ في تفسير التاريخ والبحث في ثغراته. فلن تكون هناك أمة ليس لديها موقع تاريخي شامل لها على شبكة الإنترنت ، من هنا جاء اهتمام مكتبة الكونجرس بهذا الموضوع ، والذي لم يقتصر على مجرد ذلك فحسب بل سعت إلى إقامة مكتبة تراثية عالمية بالاشتراك مع اليونسكو تضم نواذر التراث العالمي لكل أمة على شبكة الإنترنت تشارك فيها دول العالم بتقديم أفضل ما لديها من مواد تاريخية وأرشيفية ووثائقية.

## التاريخ إلى أين؟

قديمًا كانت كل دولة تحتفظ بوثائقها داخل دار الوثائق القومية... الآن كل دولة تسعى إلى إتاحة هذه الوثائق والتعريف بها عبر شبكة الإنترنت ، وهناك منهجان في هذا الصدد ، الأول تطبقه الولايات المتحدة ، بإتاحة ما تراه غير ضار بسياساتها الجارية من وثائق كاملة على شبكة الإنترنت ، والمنهج الثاني لدى الأرشيف البريطاني الذي يتيح بيانات وصفية كاملة للوثائق المتاحة للاطلاع.

لكن العالم يتجه الآن إلى ما هو أوسع من ذلك ألا وهو إقامة مواقع إلكترونية أو مكتبات رقمية أو ذاكرة تاريخية على شبكة الإنترنت لكل دولة ، هذا النوع من المواقع صارت الحاجة له ملحة لسببين: الأول ، ويتمثل في إقبال الأجيال الجديدة على تكوين ثقافتها عبر الوسيط الرقمي وليس عبر الوسائط الناقلة للمعرفة والعلم في صورها المضادة سابقًا. الثاني ، تعدد المواد والمصادر التاريخية ، وهو ما يجعل من برامج الحاسب الآلي ميزة كبيرة في ربط هذه المواد مع بعضها البعض لتعطي من مدخلات متعددة نتائج متكاملة لمدخل واحد مطلوب البحث عنه.

فمن المصادر التاريخية الجديدة المواد الإذاعية ، المواد التليفزيونية ، أرشيف الإنترنت ، الصحافة ، الصور الفوتوغرافية ، الأفلام السينمائية ، الأفلام التسجيلية ، إضافة إلى المصادر التقليدية كالكتب ، والدوريات ، والوثائق ، والعملات ، وطوابع البريد ، والآثار وغيرها.

هذه المواد جميعًا من الممكن في حالة وصفها في بطاقة وصفية شاملة تتضمن الكلمات التي يمكن أن يبحث من خلالها المستخدم عن هذه المادة تشكل مرجعية لاستعادة المادة عبر البحث على شاشة الحاسب الآلي ، وهناك مداخل متعددة لتصميم الصفحة الرئيسية للموقع الرئيسي ، منها مداخل تتبع موضوع البحث مثل: الحكام ، رؤساء الوزراء ، الموضوعات كالحياة السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، الثقافية ، والفنية ، والحياة العلمية ، إضافة إلى الأحداث الهامة ، فضلاً عن الشخصيات العامة في مقابل البحث بالموضوع ، هناك أيضاً البحث من خلال المواد مثل: الصور ، الوثائق ، الأفلام ، التسجيلات الصوتية ، الخطب ، الصحف والمجلات ، الخرائط ،

زمنيًا وجغرافيًا ، وتقديم أعمال من سماتها جذب الانتباه ، ساعين بذلك للوصول لسياق شيق وممتع يتناسب مع الماضي.

نستخلص من هذا أن الماضي ليس القصة التي تُروى وحسب ، ولكنه في مجمله مشوش وغير مرتب إلى حد ما ويتسم بالتعقيد كالحياة التي نعيشها ، فالتاريخ يخلق الشعور بالحيرة ، وذلك من خلال السعي للوصول إلى نموذج وسياق ومعنى وقصص سهلة للقارئ ، من هنا نستطيع أن نعود إلى الماضي لكي نفهم حقيقة التاريخ في الماضي.

التاريخ تغير مفهومه ومضمونه من عصر هيرودوت وإلى الآن ، لكن التغير الحقيقي كان في فترة الانتقال إلى عصر الثورة الصناعية والدولة المعاصرة ، باعتباره جزء مما سمي العلوم الإنسانية بشكلها الحديث كآلية من آليات السلطة التي تعمل على السيطرة على المجتمع من خلال التعليم والانضباط وإعادة ترتيب مدركات وذاكرة المجتمع.

## المستقبل

إذا كان التاريخ قد تغير عبر العصور،  
فلهذا لا يتغير الن مرة أخرى؟

حقيقة الأمر أن الماضي يتم استرجاعه في الحاضر حيث يتم إعادة إنشاء الصلة بينهما ، خاصة أن عملية كتابة التاريخ مليئة بالأسئلة؟ وهناك عنصر ما يجذبنا نحو الماضي ويحثنا على دراسة التاريخ حيث لم يكن الناس يعيشون كما نعيش نحن الآن.

لكي ندرك هذا لابد أن ندرك أن الطباعة غيرت حياة البشر ، فالكتاب المطبوع والصحيفة والمنشور وطاقات الدعاوي وغيرها من أنواع المطبوعات خلقت مجتمعات مغايرة عن مجتمعات ما قبل الطباعة ، فالإنسان صار قارئ مثقف كائن اتصالي جيد ، كما غير التلفزيون من طبيعة الاتصال بين المجتمعات والدول ، والإذاعة صارت في كل ركن من أركان حياة الإنسان اليومية ، كذلك التليفزيون الذي صار دوره نقل الوقائع مشاهدة للناس في أماكنهم البعيدة ، بل إن كل هذه الأدوات صارت مرجحًا تاريخيًا نعود إليه الآن لنشاهد التاريخ حيًا أو مقروءًا من مصادره الأصلية وليس عبر وسيط ، ومع ظهور الأفلام الوثائقية لاسيما أفلام الحربين العالميتين الأولى والثانية ، صارت هذه الأفلام وسيلة ممتازة لرواية التاريخ ، وصارت الصورة الحية مع السيناريو المحكم والراوي هما أداة التأثير الرئيسية للأحداث التاريخية.

في الماضي كانت السير الشعبية تقوم مقام الأفلام الوثائقية في تسلية الجمهور ، غير أن الراوي في السير الشعبية كان يضيف على روايته حبكة روائية مسلية خارج السياق الحقيقي للحدث التاريخي ، وهو يضاهي هنا ما يعرف اليوم بالسلسلات التاريخية ، لذا فإن التاريخ الحقيقي هو الذي يوضح لنا أمور مختلفة لشعوب مختلفة ، وتطور مهارة الإنسان في التأريخ للماضي هي المحك لرغبة هذا الإنسان في الاستفادة من هذا المخزون المتراكم للمعرفة والخبرة الإنسانية. فالتاريخ إذن بالنسبة للمجتمع بمثابة الذاكرة.

من هنا فإن مستقبل التاريخ لن يكون في كتب تعتمد على النصوص فقط ، بل سيعتمد على نوع جديد من الكتب التاريخية تقوم بالأساس على الصورة والرسومات (الجرافيك) الشيقة ، هذا النوع يعرف بكتب القهوة coffee books لأن الفرد يتصفحها للتسلية والمعرفة في

بلادهم والحصول على حقوقهم ، وأنتم تستعرضون مشاهد من حياتهم اليومية ، سترونهم وكأنهم أشخاص حقيقيون يعملون ويقاثلون يتعذبون ويناضلون ، ويعيشون حياتهم بأدق تفاصيلها ، ستأخذكم إلى المدن والقرى ، هكذا سيكون مستقبل التاريخ ، صورة من الماضي تبعث عبر شاشة الكمبيوتر كي تقرأها الأجيال القادمة .



### من مؤلفات الدكتور خالد عزب:

- فوة مدينة المساجد ، كتاب صدر عن مؤسسة الأهرام ١٩٨٩ م .
- المسلمون واكتشاف الأمريكتين ، دار الصحة ، القاهرة ١٩٩٣ م .
- مشكلة المياه وحلولها في التراث الإسلامي كتاب صدر عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ودار القدس بالقاهرة ١٩٩٥ م . قام بتقديمه الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا الأستاذ بكلية العلوم في جامعة القاهرة .
- بخاري الشريفة تاريخها وتراثها الحضاري ، كتاب صدر عن مكتبة مدلولي ، القاهرة ١٩٩٦ .
- القدس ، المدينة والتهويد ، المركز العالمي للتوثيق والدراسات .
- فقه العمارة الإسلامية ، دار النشر للجامعات المصرية ، ١٩٩٧ .
- تخطيط وعمارة المدن الإسلامية كتاب الأمة العدد ٥٨ قطر ١٩٩٧ .
- الفسطاط ، النشأة .. الازدهار . والانحسار ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ١٩٩٨ .
- الأهرامات المصرية أسطورة البناء والواقع بالاشتراك ، دار عين القاهرة ٢٠٠٠ .
- المدن التراثية في العالم الإسلامي ، كتاب الجمهورية القاهرة ٢٠٠١ .
- شارك في تحرير دائرة سفير للمعارف الإسلامية .
- شارك في تحرير وإعداد بنك المعلومات الإسلامي لوزارة الأوقاف الكويتية .
- تراث العمارة الإسلامية عن دار المعارف ٢٠٠٣ .
- تراث الحضاري و المعماري للمدن الإسلامية ، دار الكتب العلمية ٢٠٠٤ .

النقود ، طوابع البريد ، الكتب ، الأوسمة والنياشين ، الأغلفة والملصقات ، والإعلانات .

لكن هذا كله يجب أن يُعزز بمواد تاريخية موضوعية تشرح ببساطة كل ما يتعلق بتاريخ البلد حيث أن مستخدم الموقع يفترض فيه أن يكون باحثاً عن مادة تاريخية يريد أن يقرأ حولها أو أن يتعلم قبل أن يستخدم هذا الكم الهائل من المواد ، وإذا أضفنا لذلك مقالات ودراسات لمؤرخين في أيقونه icon خاصة تتناول قضايا بعينها أو تفسيراً أو شرحاً لحدث تاريخي ، يكون الموقع التاريخي قد اكتملت أركانه .

هكذا سيكون تقديم التاريخ للمجتمع خلال السنوات القادمة ، لكن هناك فروق بين أن يُقرأ التاريخ من كتاب به نص تاريخي أو من خلال موقع تاريخي على الإنترنت ، هي كما يلي :

الموقع التاريخي	الكتاب التاريخي
يدع القارئ بشكل رؤيته الخاصة به من خلال المواد المتاحة له	يقف عند رؤية مؤلفه للموضوع
يمكن تصحيح معلوماته والإضافة له	ينتهي العمل فيه بمجرد طباعته
تفاعلي حيث يمكن للقارئ المشاركة في الإضافة له	لا يتفاعل مع قارئه
ليس له حد في الانتشار	محدود التوزيع
مواده متعددة تخدم الموضوع الواحد وتتنوع بصورة تلفت عين المشاهد	مادته محدودة على صفحاته
تاريخ للمستقبل	للأجيال الحالية

بل يمكن أن يتفاعل مستخدم المكتبة أو الموقع التاريخي مع جمهوره سواء عبر البريد الإلكتروني ، أو عبر فتح نقاش حول مسائل أو قضايا تاريخية محددة ، يشارك في النقاش علماء تاريخ مع الجمهور ، خاصة في قضايا تاريخية خلافية ، إن هناك ميزة إضافية للمكتبات الرقمية التاريخية ، هي أنها بمثابة سجل وطني يحفظ كل ما يتعلق بتاريخ الوطن في ذاكرة لا تحترق ولا تتلف بمرور الزمن أو لأي سبب من الأسباب ، فالوثائق لدى دار الوثائق القومية ، والمواد التليفزيونية لدى محطة التلفاز الوطنية ، والنقود لدى البنك المركزي ، والصحف لدى المؤسسات التي تصدرها وهكذا ، لكن المكتبة الرقمية هي الوعاء الذي يجمع كل المواد التي لها علاقة بذاكرة الوطن .

يعزز مثل هذا النوع من المكتبات الرقمية المحتوى الرقمي للدولة أو الأمة على الشبكة العنكبوتية التي يجري الصدام حولها من قبل العديد من الدول والمؤسسات الكل يريد مؤطئ قدم له على هذه الشبكة إثباتاً لهويته وشخصيته .

إن الذاكرة الرقمية التاريخية تشبه الفيلم السينمائي في عرضه للمشاهد التي سرعان ما تتحول إلى ذاكرة الإنسان ، بعضها مشاهد ينساها وبعضها يتذكرها في موقف ما .

ستعود بكم الذاكرة سنين طوال إلى الوراء فتتردكم إلى الماضي الذي لم نكن نحن جزءاً من مشاهدته يوم أن كانت بلادنا في بدايات نهضتها المعاصرة ، حيث كان أجدادنا يناضلون من أجل تحديث